« عالم الامبريالية »
(عالم الامبريالية الاميركية يتفسخ)

في السادس والعشرين من شهر اذار المنصرم اعلن الرئيس السايغوني فان ثيو من بعد تحرير مدينة هوي ، بانها اخر منطقة سيسمح بسقوطها في ايدي الثوار . ولكنه ما كاد يعلن هذا التعهد حتى كانت مدينة اخرى تتحرر فيما يشبهونه اليوم بالانهيار الثلجي الذي لا يمكن وقفه او الصمود امامه . وقد تحول ما اسماه بالتراجع الاستراتيجي الى ركام . فقد قطف عكس ما راهن بتحقيقه من ذلك الانسحاب ، الذي اراده انسحابا استراتيجيا لانقاذ ما تبقى له ، ولكنه اضاع على الطريق اداة خطته .

جنوب فيتنام: القوات الثورية في ضواحي العاصمة

المعارضة ترفع شعار الثورة بإقصاء فان ثيو
واشنطن: تهديد بعودة قاذفات ب-٥٢ الى فيتنام!

والاداة التي اضاعها فان ثيو وزمرته الحاكمة هي القوات الحكومية التي كانت توضع ثقة وتفاؤل البنتاغون وسايغون ، بعدما انفقت الولايات المتحدة من الاموال والجهود لبناء الجيش المتماسك والمدرب تدريبا عاليا والمزود باحدث الاسلحة الاميركية ، شنتها الامبريالية الاميركية طوال اكثر من عشر سنوات ، ضد ثورة جماهير الشعب الفيتنامي في الجنوب .

وقد جاءت محاولات الانقلاب على فان ثيو ، وخاصة المحاولة الاخيرة في اوائل هذا الاسبوع عندما تعرض قصر الرئاسة في سايغون لقصف طائرات من سلاح الجو الفيتنامي ، لتؤكد حقيقة خسارة الزمرة الحاكمة اداتها الوحيدة الممكن ان تواصل استخدامها في خطتها لتحصين دفاعيات العاصمة ودلتا الميكونغ . فهي لم تعد قادرة ليس فقط على اعادة تجميع وتماسك القوات المسلحة ، بل لم تعد قادرة على تأمين جانب القيادات العسكرية وولائها .

وفي واشنطن نفسها بدأ توزيع الاتهامات ، وتحصل فيها الاستخبارات الاميركية على ما يبدو ، على حصة الاسد . اذ يحمل الخبراء الاميركيون السي.اي.اي. مسؤولية ما يحدث اليوم في جنوب فيتنام ، بسبب عمليات التقييم التي ثبت بانها كانت خاطئة ، خاصة فيما يتعلق بقدرات وفرص القوات الحكومية التي كانت المراهنة عليها كبيرة جدا — بل ان المراهنة كانت عليها فحسب .

لقد سقط الجيش السايغوني ولم يكن سقوطه

ابدا . فحتى دوي السلاح الاميركي المدجج به لم يمنع ، لان سقوطه كان في تراجعه ، في عمليات الفرار او الاستسلام ، الجماعية ، في المناطق المحررة . فقرار فان ثيو المفاجيء بالانسحاب عن الجنوب فيتنام ، في خطة انقاذ حتى البنتاغون يكاد ان يكون انهيارا كاملا لنظام الحكم القائم ، وانهيار تماسك القوات الحكومية كجيش نظامي ، وانهيار السيطرة السياسية للزمرة الحاكمة وبالانهيار الاقتصادي الذي تدفع به جحافل اللاجئين المدنيين من مناطق القتال ، الزاحفة باتجاه سايغون .

والذعر الذي اصاب القوات الحكومية في هوي والبنتاغون ، وفرار ممثلي الادارة السايغونية منها، لم يؤد الى انهيار النظام في اوساط القوات الحكومية واندفاعها الى الهرب او الاستسلام ، بل ادى الى مضاعفات فشلت سايغون في احتوائها، وسهلت ساحل جنوب فيتنام ، بالسقوط المنظم لمدنه ، في ايدي قوات التحرير الشعبية المتقدمة . فالتراجع الذي كان يقال فيها قبل اسبوعين ، بانها معاقل حكومية حصينة ، على عكس منطقة المرتفعات الوسطى ، راحت تسقط الواحدة تلو الاخرى في عمليات خاطفة على مستوى منخفض بالنسبة الى الانسحابات السابقة في سايغون وواشنطن .

فقد تحررت مدينة كي نهون ، وهي ميناء مركزي رئيسي . كما تحررت من تهاترانغ وكام رانه وفان رانغ ، فان ثييت ، وهي اخر المعاقل الحكومية الساحلية . وفي اوائل هذا الاسبوع بدأت قوات التحرير الثورية المعاصمة سايغون بالصواريخ للمرة الاولى وسط دلائل تجمع على ان فان ثيو يتحين منه اعادة تنظيم قواته على مستوى قدرته على الصمود امام المد التحريري الثوري لبضعة اشهر ، الى حين وصول موسم الامطار .

فحتى اسياده الاميركيين باتوا على شبه اليقين من ان قد اصيب بالشلل ، وبان سلوكه يظهر استسلامها للامر الواقع ، ولا يظهر اي استعداد ملموس لمحاولة استقطاب جنوده ، والفئات المناهضة للثورة في البلاد . فانهيار القوات الحكومية قد حدث بسرعة مفاجئة ، ووصل الى مستوى بات من الصعب وقفه لاعادة التجميع والتنظيم . فقد كان سببا الخوف والذعر اكثر منه بسبب المعارك ، وهذا يعني ان القوات المهزومة لا تتراجع بانتظام ، كما يتكرر في التحرير بعد ، اما باتجاه مناطق لم تصل اليها قوات التحرير بعد ، تاركة خلفها سلاحها وذخيرتها ، وقد فقدت الاتصال بقياداتها ، او تستسلم للسلطة الثورية في المناطق المحررة ، بالنتيجة نفسها . فان سايغون ما يقدر بثلث قواتها الحكومية لا يعني فقط انها قد فقدت عددا محددا ضخما من جنودها . فتأثير هذا النقص الضخم في قواتها لا يمكن الا ان يكون تأثيرا مدمرا على معنويات ما تبقى من القوات الحكومية ، وبالتالي على تنظيمها وتراتبها القتالية ، خاصة في ظروف الهزائم المتوالية التي تمنى بها ، وفي الوقت الذي تبادر فيه قياداتها وتسبقها في اصدار الاوامر بالتراجع من دون مقاومة ، امام زحف « الخصم المفروض رده » .

لقد كان يقال بان القوات الحكومية ليست قوة يستهان بها . وقد كان يقال بانها اكبر واقوى ، وافضل تزودا بالسلاح والعتاد من القوات الثورية، وستبقى كذلك ، على مستوى متفوق لسنة او اكثر، برغم تخفيض حجم المساعدات العسكرية الاميركية، خاصة وانها مدعومة بسلاح جو على درجة كبيرة من القوة . وكان يقال بان هذه القوات غير معرضة للخطر الذي تتعرض له القوات الكمبودية ، وانها قادرة على الصمود اكثر بكثير منهم . وعند بدء الهجوم الرئيسي ظلوا يقولون بانها قادرة على مستوى جيد من القتال الى حين موسم الامطار والسيول الذي سيجبر القوات الثورية على تخفيف المستوى القتالي طوال هذا الموسم . ولكن هذا كله سقط في خلال بضعة اسابيع .

ولكن كما دفع الهجوم الثوري القوات الحكومية الى حالة التفكك والانهيار ، كذلك فان هذا الانهيار العسكري قد دفع الى حالة الانهيار السياسي . اذ كما كان الانسحاب والتراجع غير المنظم للقوات الحكومية رمزا لتفكك الجيش السايغوني — اداة سياسة « الفيتنمة » الاميركية الرئيسي — فقد جاءت دعوة مجلس الشيوخ السايغوني الى « قيادة جديدة » ، رمزا لانهيار الحكم السايغوني — كذلك حقيقة ارتفاع اصوات جديدة في سايغون ، ومن القوى المناوئة للثورة ، تطالب بتنحية فان ثيو ، وهو المطلب الذي تضعه الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام كشرط لاي مفاوضات ممكن ان تجري بين الطرفين المتصارعين . وهذا يعني ان الدائرة التي تقف عليها الزمرة السايغونية تتقلص وتضيق بحيث اما ان ينحى فان ثيو او يطاح به .

وكان ناطق بلسان جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام قد صرح على اثر دعوة مجلس الشيوخ في سايغون من اجل « قيادة جديدة » ، مكررا موقف الثورة الواضح ، بان تنحية فان ثيو وتشكيل حكومة جديدة هو الشرط لمفاوضات بين حكومة الثورة وسايغون ، ولكن على ان تضم مثل هذه الحكومة ، عناصر ما يسمى بالقوة السياسية الثالثة في جنوب فيتنام ، « تؤيد السلام والاستقلال والمصالحة الوطنية » . وقد حذر هذا الناطق من ان استمرار الولايات المتحدة في دعم فان ثيو سيضع جماهير الشعب الفيتنامي والقوات الثورية امام « الخيار الوحيد بمواصلة القتال من دون هوادة لارغام الولايات المتحدة والزمرة السايغونية التابعة لها على تطبيق ما نصت عليه اتفاقيات باريس » .

ان تأكيد الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام على هذا الشرط يعكس سعي الثورة لزيادة الضغوط في الداخل حتى انهيار الحكومة السايغونية ، في الوقت الذي يواصلون فيه القتال لتحرير ما تبقى من معاقل حكومية . وكان المراقبون الغربيون يتساءلون طوال الاسبوع الماضي عن الطريقة التي سيتبعها الثوار لتحرير سايغون : هل يحررون المنطقة الساحلية ويعززون مواقعهم فيها وبالتالي عزل سايغون ومحاصرتها بالشكل الذي يحاصر فيه الثوار الكمبوديون العاصمة فنوم بنه لتحقيق انهيارها ؟ ام انهم سيتبعون طريق الهجوم الكثيف المباشر على العاصمة بالشكل الذي حرروا فيه المناطق حتى الان ؟

في الواقع ان تركيزهم على فان ثيو كالعقبة الرئيسية امام مفاوضات ممكنة بينهم وبين سايغون هو تشجيع للقوى المعارضة المتزايدة في الداخل بهدف احداث انهيار الحكومة السايغونية ، خاصة في ظروف ضغوط الهزائم وانهيار الجيش السايغوني، والمضاعفات المدمرة على الجبهة الاقتصادية ، في الوقت الذي يواصلون فيه القتال والتقدم ، يظهر ميلا واضحا في العمل المتوازي على هذين المستويين معا . وبداية قصف ضواحي العاصمة بالصواريخ هو بداية المعركة الفاصلة على سايغون كمعقل نظام الحكم الرجعي الاخير ، هو في الوقت نفسه عامل ضغط شديد لتعزيز الاتجاه في العاصمة ، الذي يطالب بسقوط فان ثيو وحكومته ، كالبديل الوحيد لاستمرار القتال بالنسبة لتلك القوى التي طالما وقفت على الجبهة المواجهة للثورة .

ولكن يبقى هناك عامل وحيد يمكن ان يحدث بعض التغيير في الاتجاه الحالي لسير معارك التحرير في جنوب فيتنام . وهو العامل الاميركي . فقد وضعت الولايات المتحدة خطط طوارىء لترحيل ما بين ٢٥٠ الف ومليون فيتنامي جنوبي من المتعاونين معها ، الى خارج فيتنام . وتحاول واشنطن اضفاء « الطابع الانساني » على هذه العملية التي قالت انها لن تقوم بها الا في حال خسارة سايغون المعركة النهائية .

فهناك جهات اميركية ، طالما استنكرت المزاج السائد في الكونغرس ، المعارض لاي تدخل اميركي جديد في فيتنام ، بل ولمساعدات اضافية لسايغون (فنوم بنه)، تراهن على ان الادارة الاميركية قادرة على اقناع الكونغرس بالاستخدام المحدود لقاذفات القنابل الاميركيه ب — ٥٢ بحجة حماية عمليات الترحيل هذه . ان هذه القاذفات تستطيع قصف القوات الثورية المتقدمة من العاصمة لتعيق تقدمها ولاكتساب بعض الوقت للزمرة السايغونية من اجل اعادة تحصين دفاعيات العاصمة والصمود لعدة اشهر حتى موسم الامطار الذي سيحد من الهجوم الثوري . صحيح ان عوامل دولية وداخلية عديدة، ليست اقلها الوضع المنهار للزمرة الحاكمة والتقدم الرائع لقوات التحرير الثورية ، تشكل رادعا لمثل هذه المغامرة الاميركية . ولكن الثورة الفيتنامية وهانوي ايضا ، تدركان بانه لا يمكن الاستبعاد الكامل لمثل هذا العمل الاحمق المحتمل من الامبريالية الاميركية . واحدا لم ينس كيف راحت الولايات المتحدة تشنحرب ابادة جوية ضد فيتنام الديمقراطية، كعمل انتقامي يائس ، وكانت تستعد لتوقيع اتفاقية باريس من اجل انسحابها العسكري المهزوم من فيتنام ، قبل سنتين .

●●